من الاعتراف إلى التسامح: نحو معالجة نقدية للخطاب القيمي المعاصر

Title in English From Recognition to Tolerance: Towards a Critical Treatment of Contemporary Values Discourse

سارة دبوسي

المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية بقفصة(تونس)، Isara.daboussi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/07 تاريخ القبول: 2023/07/05 تاريخ النشر: 2023/07/31

ملخص:

سنعمل ضمن هذا البحث على تقديم رؤية نقدية استقرائية لمفهومي الاعتراف والتسامح وأهميتهما في تشكيل مسألة القيم بالمجتمعات المعاصرة. وذلك لأن الخطاب القيمي المعاصر في حاجة لمثل هاته القيم لأجل ترتيبه. ومن هنا إرتأينا أن نعالج المسألة القيمية وفقا للتصور الفلسفي لأبناء الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت وخاصة مع أكسل هونيت ورينر فورست.

كلمات مفتاحية: الاعتراف، التسامح، الخطاب القيمي، المجتمعات المعاصرة، رينر فورست، أكسل هونيت

Abstract:

Within this research, we will provide a critical and inductive view of the concepts of recognition and tolerance and their importance in shaping the issue of values in contemporary societies. This is because the contemporary value discourse needs such values in order to arrange it. Hence, we decided to address the value issue according to the philosophical perception of the third generation of the Frankfurt School, especially with Axel Hunet and Rainer Fürst.

Keywords: Recognition, tolerance, value discourse, contemporary societies, Rainer First, Axel Honneth.

1. مقدمة:

إن الإهتمام بالمسألة القيمية الأخلاقية لم تكن وليدة لحظة تاريخية معينة وإنما هي ضاربة في عمق التاريخ البشري، باعتبارها تمثل مجموع القيم الموجبة والمحددة للسلوك الأخلاقي. فمن غير الممكن أن يتشكل مجتمع إنساني ويستمر دون تجسيدها فعليا وذلك لأنها تساهم في ضبط معايير السلوك والأفعال البشرية لذلك فإن الحاجة إليها جد ضرورية باعتبارها تستمد وجودها من وجود الإنسان عينه.

ولما كانت الأخلاق ضرورة حياتية لدى الأفراد والشعوب وذلك لما تحمله في طياتها من قيم الخير والشر، فقد مثلت مشغلا فلسفيا منذ القدم ولم يكن الإهتمام بها وليد اللحظة الراهنة للبشرية قاطبة، وإنما منذ القدم انشغل بها الفكر البشري، ولاسيما الفكر اليوناني الذي وسمها بالسعادة وقد شهدت عدة تطورات من حيث القراءات النظرية والعملية عبر طول التاريخ البشري ففي فترة الحداثة مثلا ولا سيما مع إيمانويل كانط أصبحت أخلاق واجب.

ونظرا لتطور الحياة البشرية وتغيرها في آن جراء الهيمنة البشعة التي مارسها الإنسان على الطبيعة أولا وعلى الإنسان ثانيا، توجب على الفلسفة الحديثة والمعاصرة إعادة النظر في مسألة القيم الأخلاقية السائدة بالمجتمعات البشرية، لأجل مساءلتها نقديا وهو ما نرصد صداه خاصة ضمن التصورات المعرفية لأبناء مدرسة فرانكفورت النقدية خاصة مع الجيلين الثالث والرابع مع ممثليه أكسل هونيت وورينر فورست الذين تناولوا هاته المسألة بالدراسة والتحليل باعتبار أن الإنسانية المعاصرة رغم ما بلغته من نضج فكري ومعرفي إلا أن القيم الأخلاقية قد شهدت بها عدة أزمات مما استدعى إعادة التفكير في شأنها من جديد.

عن هذا الإشكال، يطالعنا التصور الاجتماعي النقدي للقيم بالمجتمعات الغربية المعاصرة من خلال أطروحة الصراع من أجل الاعتراف لدى أكسل هونين والطرح النقدي الذي راهن

على الجمع بين الاعتراف والتسامح في الصراع مع رينر فورست، وفي هذا السياق تراودنا جملة من الأسئلة تترابط في وحدة موضوعية تتمحور حول الفكر النقدي لأبناء مدرسة فرنكفورت. فكيف قرأ كل من هونيت وفورست المسألة القيمية الراهنة بالمجتمعات الغربية المعاصرة؟ ووفق أي مسار معرفي سعى هؤلاء المفكرون إلى إعادة بناء القيم الأخلاقية بهاته المجتمعات بصيغة تتماشي والواقع العلائقي بين البشر؟ وماهي الإضافة القيمية التي قدمها كل منهما لأجل تجاوز الواقع القيمي الراهن؟

2-القيم الاجتماعية بالمجتمعات الغربية وسؤال الاعتراف

شهدت المجتمعات الغربية منذ فترة الحداثة وصولا إلى اللحظة المعاصرة عدة إحراجات على المستوى الاجتماعي والأخلاقي والسياسي، مما استدعى إعادة النظر من جديد خاصة في القضايا الاجتماعية الضاربة في عمق هاته المجتمعات، ولعل مسألة القيم قد شكلت مركز اهتمام فلاسفة مدرسة فرانكفورت على وجه الخصوص باعتبار أن هؤلاء راهنوا على جعل الفلسفة تعانق قضايا المجتمع لأجل معالجة الواقع وإيجاد حلول عقلية منطقية تتماشي والراهن المعاش.

ما لا يجب أن يغيب عن بالنا، هو أن عمق الأزمات الاجتماعية التي سادت بالدول الغربية منذ فترة الحداثة الأوروبية إلى اليوم، هو ما يمثل همزة الوصل بين أبناء مدرسة فرانكفورت من الجيل الأول(نموذج الإنتاج)مرورا بالجيل الثاني(نموذج التواصل) وصولا إلى الجيل الثالث الذي حاول أن يقدم النظرية النقدية في حلة جديدة تحمل في طياتها ثقافة الاعتراف بالآخر ضمن أفق الفضاء العمومي المشترك وصولا إلى الجيل الرابع الذي حط رحاله الفلسفي في قارة التبرير.

ولئن كانت الأزمة الاجتماعية هي الخيط الفكري الناظم ما بين الأجيال الأربعة المتعاقبة على المدرسة، فإن توجههم الفكري انصب نحو تحقيق التغيير والرقي بالمجتمعات الإنسانية نحو

الأفضل، ولنا في التصور الفكري لممثل الجيل الثالث للمدرسة النقدية أكسل هونيت خير شاهد على ما نقول.

لقد افتتح هونيت مشروعه الفلسفي المتمحور حول نظرية الاعتراف منذ إصداره لكتابه الأساسي الصراع من أجل الاعتراف(1992)، والذي انطلاقا منه حاول مقارعة التحولات القيمية بالمجتمعات الغربية وتشخيص مجموع الباثولوجيات والتشوهات التي تنخر الروابط الاجتماعية بها. مقترحا في ذلك نظرية الاعتراف كحل علاجي لتجاوز تلك الوقائع وتحقيق عدالة اجتماعية على النحو المطلوب. لكن فيما تمثلت هاته التشوهات؟ وبما امتازت نظرية الاعتراف الهونيتي؟

2-1- قراءة في أهم الباثولوجيات الاجتماعية

عديدة هي التشوهات أو الأمراض الاجتماعية التي لحقت بالمجال القيمي الغربي والتي تناولها هونيت بالدرس في فلسفته الاجتماعية، ولعل باثولوجيا الاحتقار كانت في مقدمتها وذلك لما لها من تأثير سلبي على الأفراد من ضروب متعددة، وباعتبارها كذلك فقد كتب في شأنها هونيت ضمن كتابه مجتمع الاحتقار: نحو نظرية نقدية جديدة ما يلي:" عندما ينفى عن الشخص الاعتراف الذي يستحقه فإنه يتفاعل وفق القاعدة العامة للأخلاقية التي ترافق تجربة الاحتقار التي يترتب عنها الغضب والسخط والعار" [1] وهي جملة من المشاعر السلبية التي تمس الفرد في كيانه الخاص.

بيد أن الأمر المثير للتفكير هنا حسب هونيت هو أن الفرد المعاصر يخضع لجملة من "التجارب الأخلاقية المعيشة" داخل المجتمعات الغربية والمتمثلة أساسا في جملة من

[1] Honneth Axel, *La société du mépri : vers une nouvelle théorie critique,* Trad. Olivier Voirol, Pierre Rusch et Alexandre Dupeyrix , Paris, La Découverte,2006,p .193.

التجاوزات اللاأخلاقية التي تتمظهر على شاكلة عائق بنيوي على تحقيق مجتمع ناجح. ولعل باثولوجيا الاحتقار بضروبه الثلاثة وما ينجر عنه من مشاعر سلبية تكون في مقدمة هاته التجارب.

هذا ويتمثل الضرب الأول من الاحتقار في العنف الجسدي الذي يصيب الأفراد وما يلحق بهم من ضرر مادي ومعنوي خاصة في وضعيات التعذيب والاغتصاب التي يحرم فيها الضحية من إمكانية التصرف الحر في جسده الخاص باعتبار أن " الحرمة الجسدية والأخلاقية للأشخاص تهددها ظاهرة العنف الذي تفاقم في الدولة المعاصرة، وخاصة مع الجريمة المنظمة، كما تطرح ظاهرة شبكات الدعارة والاغتصاب بدورها مشاكل عميقة نجد صداها في الحركات النسوية التي تناضل من أجل تحقيق كرامة المرأة ومساواتها بالرجل"[2].

هذا وتؤثر مثل هاته التجربة الأخلاقية المعاشة على ثقة الفرد في نفسه التي اكتسبها ضمن تجربة الحب خلال التنشئة الاجتماعية الأولى مع العائلة، وهو ما من شأنه أن يفضي إلى الإخفاق الاجتماعي وما يترتب عنه من شعور سلبي يصل بالفرد حد فقدان الثقة في النفس والعالم أيضا، باعتبار أن الضرر الذي لحق به لا يتمثل في الألم الجسدي فحسب وإنما أيضا في الشعور السلبي الذي ينتابه حينما يجد نفسه في خضوع تام للغير وغير قادرن على الدفاع على نفسه أمام المعتدي عليه.

يبدو أن معاينة هونيت لأشكال الاحتقار لم تتوقف عند حدود العنف الجسدي وما يرافق ضحاياه من شعور سلبي، وإنما قد عاين أيضا الضرب الثاني للاحتقار من جهة القانون أي من خلال تقصيه لواقعة سلب بعض الحقوق المشروعة والمكفولة قانونيا ومؤسساتيا للأفراد مما يجعلهم ضحايا الحرمان القسري من دائرة الحقوق داخل المجتمع الذي ينتمون إليه والذي يتوجب عليه منحهم حق المشاركة البناءة في النظام المؤسساتي له.

[2]- محسن الخوني،" الفهم والتفاهم والحوار والاعتراف في فلسفة التواصل بين هابرماس وهونيت"، مجلة التفاهم، العدد36، 2012، ص94.

وتبعا للتشوهات التي تناولها هونيت ضمن باثولوجيا الاحتقار، فإن الضرب الثالث لهذا التشوه يلامس المستوى القيمي للأفراد باعتباره يتمثل في الحكم السلبي عليهم ضمن مجال العمل، والذي يجعلهم يشعرون بفقدانهم للتقدير والاحترام الذي اكتسبوه ضمن تجربة التضامن.

فما تجدر الإشارة إليه هو أن صاحب نظرية الصراع من أجل الاعتراف لم يحصر التجارب الأخلاقية المعاشة للأفراد والجماعات بالمجتمعات الغربية عند حدود تجربة الاحتقار بضروبها الثلاثة، وإنما تعداها إلى نقد وتحليل جملة من الباثولوجيات الضاربة في عمق الحضارة والتاريخ، ولنا في ظاهرة التشيؤ وما تحمله في ثناياها من نسيان للاعتراف الحاصل بين الذوات خير دليل على التجاوزات الاأخلاقية الضاربة بهاته المجتمعات.

عمد هونيت ضمن قراءته الخاصة لظاهرة التشيؤ إلى تتجاوز التصور اللوكاتشي للمفهوم الذي حصره في السلعنة وتناسى الإهتمام بالواقع الاجتماعي شأن إشكالي العنصرية والمتاجرة بالبشر، لذلك أقر هونيت بأن التشيؤ "يعني هنا نسيان للاعتراف (Oubli de la reconnaissance) . فأثناء حصول عملية المعرفة نكف عن الانتباه، وذلك لأن هذه المعرفة نفسها ناتجة عن الاعتراف الأولي"[3].

هذا ولم يتوقف هونيت عند حدود هاته التشوهات التي تناولها في فلسفته الاجتماعية، وإنما تعداها إلى ماهو أعوص بكثير حينما تناول ظاهرة التجاهل العمد أو ما يعرف باللامرئي من خلال عودته إلى عمق التاريخ الثقافي وتبيانه لمعاملة النبلاء لخدمهم وكيف كانوا يتعرون أمامهم لأنهم يعتبرونهم غير موجودين.

هذا وتعد هذه الظاهرة من أهم الانحرافات الاجتماعية التي ضربت المجتمعات المعاصرة وذلك لما خلفته من ميز عنصري بين الأفراد. خاصة وأن هاته الظاهرة لا تتصل بالعين

[3]- هونيت أكسل، **التشيؤ: دراسة في نظرية الاعتراف**، ترجمة كمال بومنير، الجزائر، 2010، ص64.

الفيزيائية وانما بالبصيرة التي ترى ما تريد من الناس وتصدر أحكامها العدوانية على الآخر كما تشاء، إنه " اللاوجود الفيزيائي وبالأحرى اللاوجود بالمعنى الاجتماعي للكلمة"[4].

ما تجدر الإشارة إليه أن هونيت قد أتى في فلسفته الاجتماعية على التشوه القيمي الأخلاقي، لأجل البرهنة على مجموع الصور اللاأخلاقية وما تحمله من إهانة للأفراد الذين هم عرضة لمثل هاته المعاملات السيئة وما يتكبدونه من مشاعر سلبية متأتية من عدم رؤية الآخرين لهم قصدا. ولعل مثال الرجل الشفاف الذي أخذه عن الروائي الأمريكي رالف إلسن وما يتكبده من نظرة عنصرية هو ما جعله شفاف وغير مرئي للبعض الآخر الذي لا يريد رؤيته ضمن واقع اجتماعي عنصري أراد من خلال توظيفه الإشارة إلى ضرب من الغياب الاجتماعي رغم الحضور الفزيائي لأجل التعبير على معاناة المنبوذين والمرفوضين. اجتماعيا.

وقد أرجع هونيت مجموع الإخلالات المرضية الضاربة في عمق الحضارة الغربية إلى مخلفات النظام الرأسمالي الذي راهن على تحقيق الكسب المادي وأهمل العلاقات الإنسانية مما أدى إلى تفشي هاته الظواهر الاجتماعية العويصة.

يبدو أن ما يتعرض له الهامشيون من منبوذون ومرفضون من الواقع الاجتماعي المعيش من سوء معاملة جراء سلوكات الاحتقار والتجاهل من قبل الآخر الذي يرفض وجودهم بالفضاء العمومي المشترك، هو ما يدفعهم إلى الانخراط في جملة من الصراعات الاجتماعية المنظمة ضد القهر والنحطاط الذي مورس عليهم قسرا. ولكن إلى أي مدى يستطيع المجتمع الغربي رغم ما ينخره من تشوهات اجتماعية أن يبرهن على وجود قيم العدالة والديمقراطية به؟ وفيما تمثل الحل الذي قدمه هونيت لأجل إنقاض المجتمعات الغربية من التفشي الواسع لهاته الباثولوجيات بدول الرفاه؟.

[4] - Honneth Axel, La société du mépris : vers une nouvelle théorie critique, trad. Olivier Voirol , Pierre Ruschet Alexandre Dupeyrix, Paris La Découverte, 2006,p .225.

2-2- نظرية الاعتراف كعلاج بديل للو اقع الاجتماعي المريض

لأجل إيجاد مخرج فلسفي متين تتجاوز من خلاله الإنسانية مجموع التشوهات التي ضربتها في العمق، فقد ذهب هونيت كما ذهب من قبله هيغل وتايلور وريكور إلى القول بأهمية الاعتراف في حل هاته التوترات الاجتماعية، ولكن ما ميز طرحه الفلسفي لهذا الإشكال هو مراهنته على أن الفلسفة الاجتماعية الحديثة تقوم على علاقة قوامها الصراع من أجل الاعتراف. لأن الاعتراف يظل بنظره السبيل الوحيد لتجاوز الوضع المسدود بين الذوات وذلك لما له من مفاهيم فرعية تساعد على ذلك.

حيث يأتي الحب في مقدمة أشكال الاعتراف والذي يمثل جملة من علاقات التفاعلية بين الذوات تقوم على مبدأ الاعتراف المتبادل ما بينها، وهو ما يمثل حافزا مهما لكل ذات، باعتبار أن هذه التجربة تجعلها تشعر بالثقة في النفس، وترتبط هذه التجربة أساسا بالوجود الجسمي للأفراد، مما يجعل كل فرد في تبعية للآخر وذلك لتعدد وتنوع المطالب البينذاتية التي تفضي بدورها إلى التكامل الاجتماعي فيما بين الأفراد، وقد كتب في شأنه هونيت ما يلي:" الحب يشتمل على جل العلاقات الأولية على مستوى العلاقات المثيرة وعلاقات الصداقة أو العائلة التي تتضمن أواصر قوية بين عدد محدود من الأشخاص"[5].

وأما الشكل الثاني للاعتراف فقد ضمنه هونيت في المستوى القانوني السياسي وذلك لأن " العلاقة القانونية تقف على جل الجسور الحيوية"[6]، الذي يفضي إلى ضرورة احترام الذوات لبعضها البعض ضمن أفق قانوني يضمن لها التوزيع الشرعي للحقوق والواجبات حيال بعضها البعض، وتكمن أهميته في توجيه الأفراد وجهة قانونية سياسية.

[5] - Honneth Axel, la lutte por la reconnaissance, trad. Pierre Rusch, Paris Cerf, 2000,p .161.

[6] - Honneth Axel, la lutte pour la reconnaissance, trad. Pierre R usch, Paris Cerf, 2000,p .183.

وأما الشكل الثالث للاعتراف فيتصل بكيفية تحقيق الذات لتقديرها الاجتماعي مما يجعلها تنظر لذاتها نظرة إيجابية باعتبارها صارت فاعلة في المجتمع الذي تسكنه من خلال مجموع الأفعال التي قامت بها ضمن مجال العمل.

ولأجل تجاوز واقع الضحالة والانحطاط الأخلاقي الذي بلغته المجتمعات الغربية وضمان تطور أخلاقياته، فقد راهن هونيت على ضرورة ضمان شروط الاعتراف المتبادل ما بين أفراده ضمن أفق اجتماعي تذاوتي ، رغم أنه على يقين تام بأن ذلك لن يتحقق ما لم يخوض الأفراد والجماعات المهانة جملة من الصراعات الاجتماعية المنظمة لأجل المطالبة بالاعتراف بها داخل الفضاء العمومي لتلك المجتمعات.

فلا يختلف إثنان في القول، بأن تطور أخلاقيات المجتمعات رهين ضمان شروط الاعتراف المتبادل بين أفرادها، إلا أنه من غير الممكن أن يتجسد ذلك فعليا ما لم تخوض الإنسانية جملة من الصراعات الاجتماعية المطالبة بتجسيد الاعتراف كما أكد على ذلك هونيت. باعتبار أن الإنسانية مازالت لم تتجاوز بعد وقائع القهر والظلم لذلك " تعد تجربة الاعتراف من الناحية الاجتماعية شرط تحقيق هوية الشخص وإذا لم يتحقق هذا الاعتراف فإن الفرد سيشعر لا محالة بالاحتقار، وهو الأمر الذي يهدد بإمكانية اندثار شخصيته وزوالها"[7].

يبدو أن طموح هونيت الفكري هو الذي دفعه إلى معاينة أهم التحولات التي طرأت على الفضاء العمومي للمجتمعات الغربية، هذا فضلا عن الطفرات التي لحقت الفلسفة الاجتماعية السابقة له، مما مهد له أفق البحث في الاعتراف الذي لا يعد معطى أولى سرعان ما ندركه وإنما هو حصيلة نزاعات تقوم بين الطلب والإستجابة باعتبار أن الذات تبحث

[7] - Honneth Axel, La société du mépris : vers une nouvelle théorie critique, trad. Olivier Voirol , Pierre Ruschet Alexandre Dupeyrix, Paris La Découverte, 2006,p.193.

دائما على استقلالها الذاتي الذي يسمح لها من تحقيق ذاتها وبالتالي تجسيد هويتها التي هي رهين الاعتراف المتبادل ما بين الذوات.

معلوم أن مسألة الاعتراف قد كانت بمثابة النقطة الفاصلة للنظرية النقدية التي بلغت الرؤية اليائسة لواقع هيمن عليه الاستلاب والتشيؤ بل وصار فيه العقل خاسفا، وبذلك يبلور هونيت مفهوم الاعتراف كنموذج فكري دفاعي عن المحتقرين والمتشيئين داخل مجتمع الاحتقار. وإلى جانب هونيت يقيم رينر فورست الحجاج على ضرورة إرساء واقع اجتماعي يقوم على الاعتراف والتسامح معا. ففيما تمثل التصور الفلسفي لفورست؟ و كيف استطاع فورست أن يرتقي بالفرد المعاصر من أفق التناحر والصراع إلى الاعتراف والتسامح ؟.

3- في أخلاق التسامح لرينر فورست

يبدو أن الوضع الراهن للمجتمعات الغربية المعاصرة صار محكوما بثنائية العيش والصراع في آن جراء التدني القيمي الذي شهدته، ولعل هذا الوضع هو ما يحتم علينا البحث عن حلول كفيلة بإرساء منظومة أخلاقية شاملة ترتكز أساسا على مبدأ التسامح. و هذا ما نجد صداه مع أحد وجوه الجيل الرابع لمدرسة فرانكفورت النقدية رينر فورست إلى جانب أكسل هونيت ضمن كتابه الأساسي التسامح في الصراع، الذي يعلن فيه منذ البداية على أهمية حضور مبدأ التسامح داخل الفضاء الاجتماعي المعاصر تماشيا وواقع الصراعات الراهنة حيث يقول " يجب إعادة بناء الخطاب الفلسفي والسياسي للتسامح وفق مسار الصراعات الاجتماعية وعلاقات السلطة"[8].

[8] -Forst Rainer, *Toleration in conflict*, trans. Ciaran Cronin, New York, Cambridge,2013, p.13.

التسامح مع الآخر، أليس هذا ما تحتاجه المجتمعات الغربية المعاصرة اليوم وخاصة أمام تزايد الإشكالات الاجتماعية التي تجعل من التفاعل الإنساني غير ممكن أو قل إنه يسير في اتجاه مسدود؟ ألا يكون التسامح الخيار البديل لتجاوز أزمة العيش معا ضمن الفضاء العمومي المشترك؟

يذهب فورست في كتابه هذا إلى ضرورة تكريس مفهوم التسامح داخل المجتمعات المعاصرة نظرا إلى أهميته في ترتيب وتنظيم الأفق الاجتماعي للذوات. إذا نجده يعود لتأكيد أهمية هذا المفهوم داخل حياة البشر إلى التاريخ، ليؤكد على أهميته ضمن أفق المجتمعات المعاصرة لأجل مواجهة الخطابات اللاأخلاقية التي تفشت بها.

ففي المجتمعات المتعددة الثقافات والقوميات يصير مفهوم التسامح مفهوما مركزيا داخل الخطاب الفلسفي والاجتماعي، وذلك لما تحفل به هذه المجتمعات من تنوع وتعدد في الرؤى وأنماط العيش هذا بالإضافة إلى تعدد العقائد والأفكار. وبذلك ندرك ضرورة تعايش الزوج المفهومي صراع تسامح معا باعتبار أن مجتمع البعد الواحد كما أشار إلى ذلك ماركوز أي مجتمع العقيدة والفكر الواحد لا حاجة له إلى هذه المفاهيم وبذلك ندرك أهمية وجود التسامح ضمن فضاء الصراع " على الرغم من أن تاريخ خطاب التسامح أظهر أن مفهوم التنازع في أوقات مختلفة تقليدي جدا (على سبيل المثال، الدينية) إلا أنه يمكن وصفه على أنه مفهوم "حديث بامتياز"[9].

وفي تقديرنا يحتل التسامح مكانة هامة في باب الحقوق وذلك لما يقدمه من معنى إيجابي ضمني للدفاع عن حقوق الآخر الذي أتصارع معه. فحين يكون مفهوم الصراع حاضرا ضمن أفق الصراع فإن ذلك بدوره يولد حقوق الآخر التي غيبت ضمن الصراع، وبذلك يساهم مفهوم التسامح إلى حد ما في تليين النزاع بين طرفاه.

[9] -Ibid., p.359.

يبدو أن مفهوم التسامح قد يساهم في التخفيف من حدة الصراع دون القضاء التام عليه باعتبار أن الصراع صار أمرا حتميا داخل المجتمعات المعاصرة المتعددة، بل وضرورة لا تقل إلحاحا عن طلب العيش معا ضمن المجتمعات المعاصرة، وهو يستمد شرعيته من الوجود المتعدد عينه. لذلك تذهب الفلسفة المعاصرة عبر ما صاغه فورست إلى ضرورة تجسيد مفهوم التسامح ضمن فضاء الصراع حتى نستطيع التغلب على حدة الصراع وبالتالي التخفيض منها كي لا تقع المجتمعات المعاصرة في مخاطر وآفات التناحر والإقتتال والحرب الضروس.

تتجسد إذن أهمية التسامح من حيث نزوعه الدائم نحو تحقيق التعايش السلمي ما بين الأفراد ضمن أفق قوامه التفاهم والتوافق لا التناحر والاقتتال ما بين أفراد المجتمع الواحد. لذلك راهن فورست على ضرورة تواجده داخل المجتمعات المعاصرة، وهذا ما نجده في معالجته للقضايا الراهنة لتلك المجتمعات انطلاقا من مفهوم التسامح. ففي إحدى المجلات الألمانية، ينشر راينر فورست أحد رواد الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت مقالا بعنوان: الفن السامي للتسامح: خارطة طريق في أزمنة الصراعات الدينية. "يفتتح مقاله بالتساؤل التالي: "ما الذي يعنيه التسامح بالضبط؟". ويرى بأنه لا يمكننا "أن نتحدث عن التسامح إلا إزاء القناعات التي نعتبرها خاطئة أو سيئة". لكن التسامح يدفعنا إلى قبول بالآخر رغم رفضنا لقناعاته، إنه لا يغير من موقفنا السلبي من قناعاته ولكنه يجعلنا نعترف بحقه في الوجود. وفي لغة فورست: "سيكون من الخطأ أن لا نتسامح مع الخطأ". (...)"فلا يتوجب على العنصري أن يصبح متسامحا، بل يتوجب عليه أن يتجاوز عنصريته"[10].

يريد فورست إذن إرساء قيم التسامح ما بين الذوات المتنازعة من أجل بناء واقع قوامه الاحترام المتبادل ما بين الأفراد والمبني في أساسه على التسامح. لذلك يرى أنه يجب على

[10]- بوطيب رشيد، **ثقافة التسامح مع الإلتباس**، مجلة منبر ابن رشد، العدد السادس عشر، شتاء 2014/ 2015 (رقمية).

الذوات أن تكون متسامحة كي لا تنتشر حالة الفوضى والنزاع القاتل فيما بينها. وبرأيه يبدو العنصري واللامتسامح في الأديان الأخري غير جدير بالتسامح معه. "ويبدو من الطبيعي أن نذكر مفاهيم التسامح والديمقراطية في الآن ذاته، ليكون هنالك على الأقل تحقيق لحداثة الدولة الدستورية والديمقراطية من المنظور التاريخي. وعلاوة على ذلك، فإن التسامح يعتبر عنصرا ضروريا للديمقراطية"[11].

وهكذا يتخذ التسامح مع فورست وجهة الصراع مع الأنظمة الديمقراطية القائمة داخل المجتمعات المعاصرة وذلك نظرا للجدل الذي بات يثيره ضمن هذه المجتمعات باعتبار ما احتوى عليه من تناقضات عدة ومن عدم الفهم الجيد. إذ يرى فورست أن التناقض سمة مميزة للتسامح، فهو من جهة مازال يعاني من عدم رسم حدوده داخل هذه المجتمعات ومن جهة أخرى مازال معناه غامض نوعا ما على أرض الواقع. ومع ذلك فهو مفهوم أساسي في حل النزاعات القائمة بين الأفراد، ولكن ذلك لا يكون جيدا بالمعنى الواسع للعبارة إلا حينما ينظر إليه من جهة الفهم الإيجابي والمستنير للديمقراطية.

يحاول فورست عبر كتابه المذكور آنفا، أن يذكر الإشكال المركزي للوضع الراهن للمجتمعات الغربية المعاصرة، ومن أجل إيجاد مخرج لواقع الفرد المعاصر المليء بالصراعات الدموية والاختلاف الناتج عن التعدد والتنوع الثقافي والعرقي إلى جانب التنوع في الأصول والعادات، ومن أجل تجاوز كل ذلك عمد فورست إلى جعل مفهوم التسامح محورا أساسيا يضاهي من حيث قيمته قيمة الاعتراف داخل أفق الفضاء المعاصر للأفراد.

ومن أبرز ما قدمه فورست هو ضرورة إرساء واقع مليء بالتسامح يكفل احترام الأفراد لبعضهم البعض وذلك من أجل ضمان أفق إنساني رحب يحقق تكافؤ الذوات المختلفة فيما

[11] Forst Rainer, *Toleration and Democracy*, Trans. Ciaran Cronin , Jornal of social philosophy, Vol.45, No.1, p.1. Spring 2014, 65-75. Downloaded from psc.sagepub.com at UNIVERSITAETSBIBLIOTHEK KASSEL.

بينها وحتى يسود التعايش السلمي ما بينهم ويقع بالتالي تجاوز واقع الظلم والعنف والقهر. "يفهم التسامح في اتجاهين : أولا، من حيث المسار السياسي فيجب أن يكون هناك استعداد للسماح في العديد من المواقف التي يجد المرء فيها أنه من الخطأ أن لا يدخل فيها، والأهم من ذلك، في المرتبة الثانية، حيث يصبح واضح أن واحدا من أسباب موقف المرء، حتى إذا كان ذلك موقف الأغلبية،(...) هذا ويعتبر التسامح هو الفضيلة الأساسية للديمقراطية عند أولئك الذين يخضعون للقانون، وقبل كل شيء أولئك الذين يتخذون من القانون فضيلة، بطبيعة الحال، ذلك هو المطلب المتساوي للأغلبيات والأقليات"[12].

ومن هنا نفهم مدى أهمية مفهوم التسامح في الواقع الإنساني لكل ذات باعتبار أن التسامح يجعلنا نصبو إلى رسم مجتمع أفضل يكون مخالفا للواقع الراهن للمجتمعات المخالفة وبذلك يدفع فورست بالذوات إلى التسامح في مساره الفلسفي " يضمن التسامح الوجود ضمن تعدد الآراء على مستوى الخطاب الأخلاقي والقضائي والسياسي، ولكن على مستوى فلسفة الأخلاق يجب وضع قواعد ومبادئ تكون قادرة على توفير القبول المتبادل والعام"[13].

نشير هنا إلى أننا عملنا على دمج مفهوم التسامح مع مفهوم الاعتراف لأجل معالجة الأمراض الاجتماعية التي لحقت المجتمعات الغربية الحديثة والمعاصرة ليس لوجود نقص في محتوى براديغم الاعتراف الهونيتي وإنما من أجل إيجاد أكثر من مخرج نستطيع عبره تجاوز واقع الصراع والتناحر الذي فرضته عقلية بشعة ترفض وجود الآخر وتؤسس لذات مستبدة.

---

[12] - Forst Rainer, *Toleration in conflict,* Op.cit, p.11.

[13] -Suarez Muller Fernando, *Justifying the right to justification: An analysis of Rainer Forst's constructivist theory of justice,* p. 4. *Philosophy Social Criticism* 2013 39: 1049 originally published online 15 October 2013 http://psc.sagepub.com/content/39/10/1049

Downloaded from psc.sagepub.com at UNIVERSITAETSBIBLIOTHEK KASSEL .

ومن هنا كان لابد من التفكير في مفهوم التسامح إلى جانب مفهوم الاعتراف باعتبارهما مفهومين أخلاقيين بالدرجة الأولى، ويمثلان المخرج الأساسي الذي عبره تستطيع الإنسانية المعاصرة تجاوز واقع الغطرسة والانحطاط القيمي. ومما لاشك فيه فإن التسامح والاعتراف سيؤسسان واقعا اجتماعيا نزيه بعيدا عن كل هيمنة بشعة على الذات، التي لجأت إلى الصراع من أجل التعبير عن كيانها المهان داخل مجتمع الازدراء.

4-خاتمة:

ربما يعود اختيارنا بالأساس إلى فيلسوف التسامح المعاصر أولا إلى اهتمامه بجل اشكالات الفرد المعاصر ضمن إطار ما بات يعرف اليوم بكوكبة فلاسفة الاعتراف من أبناء الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت من جهة، ومن جهة أخرى للربط المنطقي الذي افترضه فورست بين الاعتراف والتسامح والتواصل الفكري بين أجيال المدرسة وما أفضى إليه إضافة قيمية أثرى بها الفلسفة الاجتماعية المعاصرة التي جعلت من الفضاء العمومي المشترك.

يذهب فورست حسب قراءته لواقع المجتمعات الغربية المعاصرة ضرورة التصدى لهذه التشوهات المكبلة للحياة الاجتماعية الممكنة بين الذوات المتصارعة عبر إرساء مقولة التسامح بمعناها الواسع. فضلا عن عدم حصرها في الجوانب الدينية كما كان سائدا من قبل، بل ينبغي أن تشمل جل المجالات التفاعلية للذوات المختلفة.

ويتفق التصور الفلسفي لمفهوم التسامح لرينر فورست مع التصور الفلسفي لمفهوم الاعتراف الذي صاغه أكسل هونيت من خلال اتفاقهما في بلوغ أفق الاحترام المتبادل بين الذوات، أي أن كل منهما يشرع لنشر ثقافة الاحترام والتقدير الفعلي بين الذوات داخل مجتمع التعدد سواء على الصعيد القانوني السياسي أم على الصعيد الاجتماعي. فكلاهما يسعى إلى تجسيد حقوق الذوات التي طمست ضمن واقع الصراع في إطار التفكير في الحقوق الفردية لكل ذات ضمن الواقع الاجتماعي لكل الذوات. وكذلك الشأن العام الذي يفرض على الذات الإمتثال

لكل الأبعاد العمومية التي يفرضها فضاء العيش المشترك ضمن أفق ديمقراطي متعدد. "هذه هي االمبادئ المحددة والكامنة في هذا المثل الأعلى، مثل مبادئ الحرية، المساواة، التسامح، التضامن، الغيرية، الاحترام، المشاركة، الاعتراف، المسؤولية، إلخ. هي في الواقع المعايير الجوهرية التي تجعل النظرية النقدية للسلطة ممكنة"[14].

ويندرج إشكال التسامح ضمن القضايا الراهنة للفرد المعاصر الذي يعاني من عدة إحراجات وجهها له مجتمع الاحتقار شأن الازدراء والظلم والإهانة. وبذلك يصبح مفهوما التسامح والاعتراف من المفاهيم المركزية في الفكر الفلسفي المعاصر، هذا علاوة على أهميتهما في السياق الأخلاقي والسياسي للواقع المعاصر للمجتمعات. وذلك لما يتكفلا به من ضمان لحقوق بعض الأفراد المهمشين والمضطهدين في حقوقهم المشروعة قانونيا بحبر التسلط والقهر ضمن الفضاء القانوني والاجتماعي لهم.

فما يؤكد عليه كل من هونيت وفورست هو أنه لا يمكن بأية حال من الأحوال إرساء واقع إنساني قوامه التسامح والاعتراف والاحترام ما بين الذوات المتصارعة إلا بتجسيد مثل هذه المفاهيم على أرض الواقع. وذلك من أجل إرساء واقع مليء بالحقوق الضرورية لكل فرد والمشروعة أخلاقيا وقانونيا وسياسيا واجتماعيا.

وفي تقديرنا يبدو أن فورست قد ساهم في تطوير الأفق الأخلاقي للذوات باعتبار أن حضور الثنائي صراع تسامح قد يؤدي بدوره إلى تطور القانون الأخلاقي للمجتمعات المعاصرة والذي سبق ونبهنا كانط إلى ضرورة الإهتمام به عبر ما يحتمه علينا الواجب الخلقي.

ومن هذا المنظور حظيت إشكاليتا الاعتراف والتسامح بموقع مركزي في الفكر الفلسفي المعاصر على وجه الخصوص وذلك لما سمحت به من تسهيل وربط للعلاقات ما بين الذوات. من أجل التفكير في الإرتقاء بواقع الفرد المعاصر الذي يعاني الازدراء واللامساواة وشتى أنواع

[14] - Forst Rainer, *Toleration in conflict*, Op.cit, p.14.

الباثولوجيات الاجتماعية إلا أن مثل هذه المفاهيم قد انتقدت واتجهت إليها العديد من الإنتقادات من صميم الفلسفة المعاصرة.

5-المراجع:

- **محسن الخوني،" الفهم والتفاهم والحوار والاعتراف في فلسفة التواصل بين هابرماس وهونيت"، مجلة التفاهم، العدد36، 2012.**
- **هونيت أكسل، التشيؤ: دراسة في نظرية الاعتراف، ترجمة كمال بومنير، الجزائر، 2010.**
- **بوطيب رشيد، ثقافة التسامح مع الإلتباس، مجلة منبر ابن رشد،العدد السادس عشر، شتاء 2014/ 2015 (رقمية).**

- Honneth Axel, *La société du mépri : vers une nouvelle théorie critique,* Trad. Olivier Voirol, Pierre Rusch et Alexandre Dupeyrix , Paris, La Découverte,2006.

- Honneth Axel, la lutte por la reconnaissance, trad. Pierre Rusch, Paris Cerf, 2000.

- Forst Rainer, *Toleration in conflict*, trans. Ciaran Cronin, New York, Cambridge,2013. - Forst Rainer, *Toleration and Democracy*, Trans. Ciaran Cronin , Jornal of social philosophy, Vol.45, No.1.

-Spring 2014, 65-75. Downloaded from psc.sagepub.com at UNIVERSITAETSBIBLIOTHEK KASSEL.

- Suarez Muller Fernando, *Justifying the right to justification: An analysis of Rainer Forst's constructivist theory of justice*.

***-Philosophy Social Criticism* 2013 39: 1049 originally published online 15 October 2013 ;http://psc.sagepub.com/content/39/10/1049**

-Downloaded from psc.sagepub.com at UNIVERSITAETSBIBLIOTHEK KASSEL .